عاطف عبد العزيز

مخيال الأمكنة

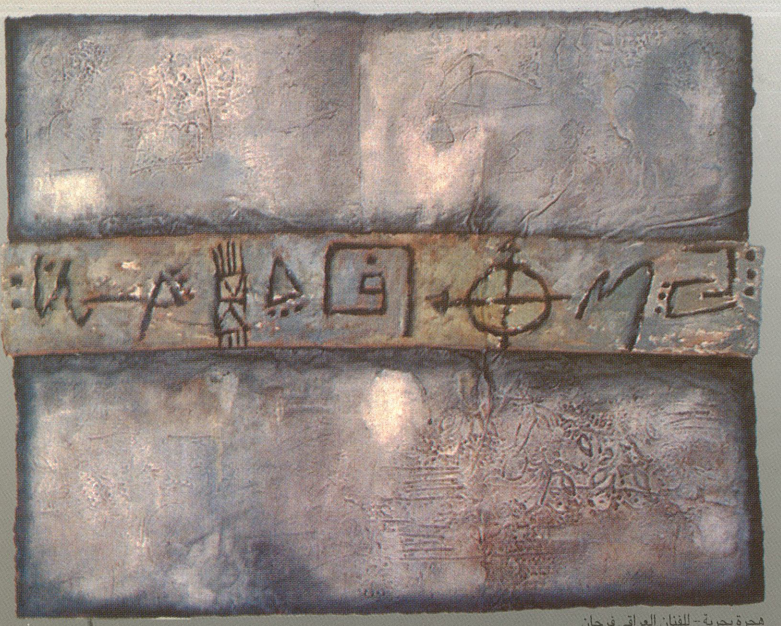

هجرة بحرية - للفنان العراقي فرحان

شعر

هامش
HAMECH

كتبت نصوص هذا الكتاب في الفترة من يونيو ٢٠٠٣

حتى مارس ٢٠٠٥

مخيال الأمكنة

مخيال الأمكنة

شعر

عاطف عبد العزيز

الطبعة الأولى ٢٠٠٥

حقوق النشر محفوظة

هامش (١)

بالتعاون مع جمعية هليوبوليس

مرسيليا – فرنسا

المحرر العام : وليد خليفة

الغلاف : عصام الدين عبد العزيز

رقم الإيداع : ١٦١٨٢ / ٢٠٠٥

HAMECH

Association HELIOPOLIS
5 Rue Richard
13014 Marseille - France

L'IMAGINAIRE DES LIEUX
ATEF ABDEL-AZIZ
2005

عاطف عبد العزيز

مخيال الأمكنة

شعر

التغريبة

خيمة ليلية

قَدَمايَ الكبيرتان آخرُ ما تبقَّى من الأسلاف ، إنهم الزرَّاع ، الزرَّاعُ الذين صاروا غزاةً ، حتى تذوَّقوا النبيذَ على أبوابِ أنطاكية .

في الطريقِ إلى المجدِ ، مرَّوا بوادٍ كان ينبتُ فيه زعترٌ بريٌ ، و يرعى راهبٌ عنزتيه ، كانت تحدُّه بركةٌ متَّسعةٌ وقفَ فيها المعمدانُ ذات يومٍ يحمِّمُ تائبيه ، ثم جاءها انكشاريٌ كي يغتسلَ من الجنابةِ بعد أن قتل الغلام .

عبَرَ الشتاءُ كاملاً دون أن يتمكَّنَ الفلاحون من التواؤمِ وسراويل الحرب ، إذ كانوا يرفعونها على حبالِ الخيمةِ كلَّما جاءَ الليل ، حتى يتركوا لأعضائهم حقَّ التنفُّسِ العميق .

لكنهم – مخافةَ سوءِ السمعة ، واستجابةً لنظامِ الطاعةِ الذي كان يسهرُ عليه الباشا إبراهيم – اضطرُّوا إلـى اعتيادِ المُخدَّات : تحوَّرتْ أقدامُهم لتأخذَ شكلَ الأحذيةِ الثقيلة ، ثم دأبوا على استهلاك الحنين ، كانوا كلما عسكروا على ربوة ، نزلوا إلى الأسواق، واشتروا شايًا وتوابلَ ، ارتادوا خماراتٍ لها حوائطُ من أحجـارٍ داكنة ، على موائدِها جالسوا نساءً يرطنَّ بمـا يكسـرُ القلبَ ، ويمضينَ دونَ أن تُعرفَ لهن أسماء .

في الصباحِ البارد اصطفُّوا تحتَ النفيرِ، كي يخبـروهم أن الطريقَ إلى المجدِ ينتهـي عنـدَ هـذه الشـجرة ، وأشاروا إلى اللَّوزِ الذي باتتْ بشائرُه .

حين عادوا إلى الديار ، بدوا تحتَ شمسِ المغيبِ كأن قاماتهم طالت ، لمرآهم توقــف الأولاد عــن اللعــب ، وطاروا إلى البيوتِ بأوحالهم .

كان الرجالُ مرهقين ، استسلموا للنعاسِ فــي حجــورِ النساءِ التي ينبعثُ منها خليطُ الروائحِ : من الحِنَّاءِ إلى الرَوَثِ الناشف ، وفي الليالي التالية استسلموا للنعاس في حجور النساء .

كان طبيعيًا – بمضيِّ الوقــتِ – أن تتهــرَّأ أحــذيتهم الأميريةُ ، صاروا يتعثَّرون إذا مشوا حفاةً في السِكَك ، لذلك استبدلوا بها لفائفَ الكتَّان ، ثم جلسوا مقرفصينَ على الجسور ، يرقبون المحاريثَ الصدئة ، ويحملون

فوق أكتافهم عصيًّا من أغصانٍ غلاظ ، أجل .. كانـــت
غلاظًا بما يكفي لملءِ التجاويفِ التي حفرتْها البنادق .

أبريل ٢٠٠٤

الكيت كات

الكيت كات

تحبُّ الموسيقى !

لكنكَ لستَ بالخياليِّ الذي يستبدلُ بهجتَهُ بالبيوتِ المِلْك ، لهذا لا تستحقُّ دورَ الأزهريِّ الأعمى ، الـذي فـضَّ لراجح داود أسرارَ الكائناتِ في " فضل الله عثمان " .

تحبُّ البراءة !

غير أنكَ مصابٌ بالأرقِ المزمن ، فلن تكـونَ يوسـفَ المعشوقَ في غفلته ، ولا عاملَ الفِراشةِ الـذي هـدَّه التعب ، ونام على صندوقِ الفضائح .

تحبُّ الحياة !

إذن لن يناسبَكَ الرجلُ المرفوعُ على عربةِ اليد ، بعدما أبدلوه بالقِدْرِ في المشهدِ الشعبي .

أنتَ أقربُ ما يكونُ إلى مراكبيٍّ اعتادَ أن يأخذَ قيلولتَـهُ في ظلالِ العوَّامات ، بل أنتَ أقربُ ما يكونُ إلى منسِّقِ المناظر .

هي الكيت كات نائمة ولا أحدٌ يرانا ، قامت العماراتُ و الحقولُ تراجعت إلى ما وراء المجرى الملوَّث ، أما الصداقةُ بين عيدانِ الذرةِ و المراهقينَ القُدامى ، فـإن شروطها تبدَّلتْ وانتهى الأمر .

كوِّنِ الكادرَ بما يشبهُ روحك الواقعيةَ المفرطة ، هذا ما عليكَ : ابدأْ بالواجهاتِ الكالحة ، ثم الأسطحِ المليئةِ

بالهوائياتِ وبالجِرارِ وبالدجاج ، وفي النهايةِ ، ضَـعِ
الهدومَ التي يتنازعها الهواءُ والمشابكُ الخشب .

يونيو 2004

سلمى

شرفة النباتات

نبقى طيّبين ما دمنا قادرينَ على طردِ الخونةِ والكذّابينَ . لا من الحياةِ فحسبْ ، بل من شارعِ جسر السويس كلّه . عن نفسي سوف أنتهزُ خطـأً عـابرًا لخـادمي الصغيرِ ، لصِّ السجائرْ، كي أعيدَه إلى زوجـةِ الأبْ . أما أنتَ .. فعليكَ أن تبصقَ في وجهِ المـرأةِ الوحيـدةِ التي أحببتَها ، لأنها غَفَتْ قليلاً علـى كَتِـفِ صـديقِك النثريّ .. وأينْ ! في الفراشِ الذي لم تنسَ يومًا أنـكَ تدفعُ أجْرَتَهُ ، و تحملُ إليه لحمًا باردًا و نسكافيه .
في هدوءْ ، ستقولُ لها : أنتِ وسخةٌ يـا سـلمى ! .. سوف لا تنظرُ إليكْ ، ودونَ كلمةٍ ستقومُ إلـى جَمْـعِ أشيائها ، فيبقى شعرُها الطويلُ وحدَهُ الحاضرَ في

المكانْ .تروحُ سلمى وتجيءُ ، تقــومُ وتنحنـــي فـــي سروالِها الداخليِّ الدقيقْ ، لابد أن ساقيها كانتا بهيَّتين فوقَ العادةِ ، تحتَ الضوءِ الجانبيِّ الواهنْ ، وإلا لماذا سوف يتهدَّجُ صوتُكَ حين تهمسُ من ورائهـــا : هـــل عاودَكِ الصداعُ ؟

تروحُ المرأةُ وتجيءُ ، تقومُ وتنحني ، بأصابعها تضغطُ جانبَ جبينِها الواسعْ ، وبيسراها تفتِّشُ عـــن شـــريطِ البنادول الذي كان هنا ، والذي كانَ هناكْ .

سيتاحُ في غيابها ، أن نقتسمَ ما يزيـــدُ مـــن هـــواءِ الغرفةِ عن حاجةِ الماضي ، وأن نقتسمَ الأوراقَ التـــي قد تكونُ عبئًا على الحَكْي ، سيتاحُ في غيابها أيضًا ،

أن نقتسمَ العملْ : أنظفُ أنا الشرفةَ من رمادِ السجائرْ ،
وتروي أنتَ النباتاتِ التي أوشكتْ على الموتْ ، أرفعُ
أنا الأغراضَ الزائدةَ إلى السطح ، وتتخلَّصُ أنتَ من
الشَعرِ الذي وزَّعتْه القطةُ على الوسائد .
سيكون لدينا ما يكفي من الوقتِ ، كي ننصتَ لخطوِ
الآلهةِ وهي تخرفشُ في الفوضى التي كانت هنا والتي
كانت هناك ، باحثةً عن شريطٍ مازالَ يتنفسُ في ركنهِ
المبتعد .

يناير – نوفمبر ٢٠٠٤

الرماديُّون

حانة جانبية

لا ينبغي أن نلومَ أصدقاءنا إذا ما تخفَّفوا بعضَ الشيءِ من محبتنا ، إنهم كائناتٌ تتوقُ إلى الرحمة ، الشخصياتُ التي كتبها السيناريست على عجلٍ للحصولِ على مؤخَّرِ الأتعاب ، غير أنهم مُهمُّون ، باعتبارهم أرضية المشهدِ التي لا تلحظها ، ولا تلحظُ دونها العينُ ، الفضاء الرمادي الذي لا يحلو للأزرقِ أن يتمطَّى إلا فوقَ كتفيهِ العريضتَيْن .

الأصدقاءُ هم الموكَّلون بالإنصاتِ إلى البطلةِ ، حين تقصُّ على المشاهدينَ مأساتها ، يشعلونَ سيجارتها ، يصبُّونَ لها كأسًا وقتَ اللزوم ، ويرفعون حمَّالتها

عندما تنحدرُ عن الكتفِ تحتَ وطأةِ الانفعـــال ، إنهـــم النبلاءُ الذين سوف تقودهم عفتُهم المهنيةُ إلى عياداتِ البروستاتا في سنٍ مبكرة .

لذلك صار للأصدقاءِ مشربٌ رطب شـــحيحُ الـــضوء ، يُنزلُ إليه بدرجتينِ ، إنه هنا على مقربةٍ من البلاتوه ، خمرتُه الرخيصةُ قادرةٌ على فضِّ الاشتباكِ بين الموهبةِ والحظِّ العَسِر ، وعلى تذكيرنا بنجمِ الشباكِ الذي كـــان في مقتبلِ الحكايةِ صديقًا محترفًـــا ، محـــضَ صـــديقٍ محترف ، و أن المجدَ ليس سوى ذلك الطفلِ الذي كان يحبو هنا ، في العتمة .

يوليو ٢٠٠٤

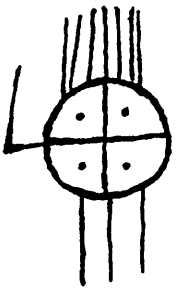

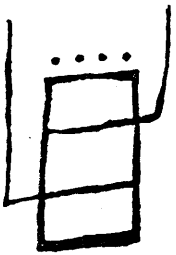

مصحّة الضمائر

هليوبوليس بطريقة أخرى

في شدوان ماتَ الأب ، لم تقوَ الأرملةُ الشـــابةُ علـــى مغالبةِ الضجرِ الذي يوفِّرُه الجميعُ لزوجاتِ المحاربين ، تركتِ المراهقَ لجدَّتِه صاحبةِ المرض ، ليدرِّبَ عينيـــه أيامًا طوالاً على كشفِ الفروقِ الدقيقةِ بـــين وخـــداتِ الزخارفِ في سجاجيدِ البيت .

حين يخرجُ من عزلتِه ، سيكون قد فَقَدَ ، وإلى الأبـــدْ ، تفوُّقَهُ الواضحَ في استيعابِ الرياضيات ، كـــي يكســـبَ الفريقُ المدرسيّ ظهيرَه المُهِم . بالتداعي سوف يعرفُ الفتى طريقَهُ إلى بناتِ المدرســـةِ النموذجيـــةِ ، حيـــث ستنالُ ملابسُه نصيبها من الغبارِ ومن الظلال .

لا أحد يذكرُ الآن الكتابَ الذي التقطه من سورِ الأزبكية فغيَّرَ المَجْريات ، إنه الكتابُ ذو الغـلافِ القرمـزيِّ ، الذي يؤكِّدُ أن مصرَ الجديدة كانت غابةً قبـلَ هبـوبِ العاصفةِ الرمليةِ العظمى ، أي قبلَ عشرين ألف سنة ، وأن العباسيةَ كانت مستنقعًا تتقلَّبُ فيه التماسيح .

المشكلةُ ، أن تراكمَ الخبراتِ لم يُفِدْهُ بالقدرِ الكافي ، إذْ لم يرَ في الخيانات شيئًا غيرَ الخيانة ، غافلاً عن كونها الوقودَ اليوميَّ اللازمَ لإدارةِ التاريخ .

فقدانُ التسامحِ هذا حجزَ له سريرًا مستدامًا في مصَحَّةٍ لأصحابِ الضمائرِ الحيَّة ، بمرورِ الوقتِ شِبْنا وحدَنا ، وظلَّ صاحبنا غضًّا كما عرفناه ، يُحدِّثُ ناسًا غيرَ

موجودين : كيف أن الكافورةَ العتيقـــةَ فـــي حـــديقتهم المُطِلَّةِ على نخلة المطيعي ترتكز ُعلى ذؤاباتٍ طمرتْها الرمال ، وكيف أن لبؤةً تظهرُ ، هـــذه الأيـــام ، قـــربَ جمعيةِ خلاص النفوس .

أكتوبر ٢٠٠٣

المقهى

المقهى

لم يكن لدى الشيخِ وقتٌ كي يوازنَ بينَ كَفَلِ الراقصةِ وعقودِ العملِ التي ينتظرها الأصدقاء . ولأنّ الخيالَ أبرزُ أمراضِ المهنةِ ، لم يهتم أحدٌ منهم بالحفاظ على شعرةِ معاوية بينه وبين ربَّةِ البيت ، عسى أن تتَّسعَ السكَّةُ لأيَّامِ العزوبةِ المرتقَبة ، في بلادٍ يعرقُ فيها البلح .

راحَ الفتْيانُ يجهِّزون الحقائبَ بالتفاصيلِ التي لا يُدركُ خطورتَها سوى أمثالِهم من المبدعينَ الأقحاح . لكنّ ما حدثَ بعدَ ذلك لم يشذ عما يحدثُ عادةً في مثل هذه الأحوال ، إذ تضخَّمَ كَفَلُ المرأةِ في الفندق ، حتى أن النزلاءَ المجاورين كانوا يلاقون صعوبةً في اجتيازِ الردهةِ الفاصلة ، بينما صارت رقعةُ الشطرنج في المقهى مسرحًا لصراعٍ ما تبقَّى من إرادات ، المقهى الذي لا يرى صاحبُه نفعًا للمبسمِ البلاستيكي باعتبارهِ عازلاً طبيًّا يعطِّلُ الشهوة .

المدينة دونَ مَلِك

مدينة ما

تحتَ وطأةِ الواجبِ ، أجَّلَ الملكُ موتَهُ مـــراتٍ ثـــلاثْ ، كان كلما زاره الملاكُ المُكلَّفُ ترجَّاه مهلةً ، نعم مهلـــةً من أجلِ رعيتهِ قليلةِ الحيلة .

كيف لا ، والمهامُ تراكمتْ على كاهله : من رفْعِ أسوارِ المدينةِ في وجوهِ الممسوسين ، أعداءِ الحيـــاة ، إلـــى اجتثاثِ الغابةِ التي اتخذها الحطَّابون أوكارًا للنميمـــةِ . ومن تمهيدِ السكك تحتَ عربةِ الجنـــدِ ، حتـــى تقويـــةِ الجسورِ التى تربطُ الثكنات .

الموتُ لم يكن ليخيفَ أمثالَهُ من الموعودينَ بالفردوس ، ألم تكن بَوْلتهُ في الأرضِ سرًا تفضُّهُ مواسمُ الحنطةِ وضروعُ الماشية ! وبسمتهُ إشارةً لتعاقبِ الفصـــولِ و تبدُّلِ الأحوال !وغضبته سماءًا من نحاس !

لكنها الأيامُ لم تَسِرْ على وتيرتها ، حين تمطَّى قـابضُ الأرواحِ في لحظةِ السأم ، واصطحبَ الملكْ .

بقاءُ الأشياءِ مطمئنةً هكذا في أمكنتها بانَ كأنه نكرانُ جميل : الأسوارُ غيرُ مكتملة ، والدروبُ لوحةٌ مبسوطةٌ من تراب ، والأسواقُ غارقةٌ في الضجيج ، أما النهـرُ فظلَّ على شهيتهِ في اقتلاع العشبِ و التلصُّصِ علـى حاملات الجرار .

ما من جديدٍ في المدينةِ غير انذهالِ الناسِ من مـرأى الفصولِ في تعاقبها دونَ ملكْ .

. . .

أجل . . دونَ أدنى حاجةٍ إلى مَلِكْ .

مايو ٢٠٠٥

حراسة الخراب

بيت الزواحف

لابدَّ أنها مهنةٌ أصيلةٌ في العائلة !

ثلاثةٌ من جدوده قضوا أعمارهم رفاعيينَ في دار المحفوظات ، أمّا عمُّه الكبير فكان كاتبَ الدائرةِ التي تولَّى أمرَها فيما بعد يوزباشيُّون واسعو النفوذ ، فيما اعتُبرَ أخوه من الأحياءِ المعدودين الذين انتسبتْ إليهم صياغةُ الميثاق ، عندما كانوا يرتِّبون الرُّكامَ الاجتماعيَّ بسرعة قبل خروج الفوضويينَ من السجن .

لم يكن لصاحبي - باعتباره الابنَ الحلالَ - أن يتلاعبَ في مصائرِ السلالة : ظلَّ على عادتهِ في مصادقةِ الثعابينِ التي اطمأنت في شقوقِ المنزل ، وظلَّ محتفظًا

في أدراجهِ بصورَ بنتٍ كانت تعدُّ نفسها للدَيْرِ منذ اثنين وعشرين عامًا ، غير أنها – ولسببٍ غامضٍ – عدَّلتْ قليلاً في خُططها ، كي تنصبَ آخرَ الأمرِ خيمةً في سوقِ المُتَع .

هو الآن يكتبُ قصائدَ لا يفهمها أحد ، يخرجُ في الصباحِ الى الشُغْل ، يلوِّحُ لمارسيل المشلولةِ في شرفةِ الجيران ، ثم بعينينِ جديدتينِ تمامًا يرفعُ وجهه إلي الشارع ، في انتظار أن يُحبَّ .. أو يُحَب .

نوفمبر ٢٠٠٤

كائنات الغرفة

غرفة الكائنات

حلمتُ في صباي أن أكونَ واحدًا من سُكَّانِ وسط البلد ، أعني القاهرة ، القاهرةَ التي تراءت للخديوي إسماعيل في ساعةِ سُكْر ، فعقد العزمَ على سبكها من أجل عيونِ حبيبتهِ جامدةِ القلب .. أوجيني .

اخترتُ بنايةً لها مصعدٌ من الموبيليا ومن الحديدِ الزخرفيّ ، لها دَرَجٌ من رخامٍ أبيض ، وشرفاتٌ على الطرازِ القوطيِّ تطلُّ على دار القضاء العالي ، بما يُمكّنني من مشاهدةِ التظاهرات التي سوف تخرجُ مطالبةً بعودةِ الوفد ، أو مشاهدة الغوغائيِّين وهم يسحبون أخشابًا مشتعلةً باتجاه الأمريكين عندما سيشرعون في حرقِ العاصمة .

قلت لتكن 28 شارع فؤاد الأول .

في الطابقِ الرابعِ كان لنا جيرانٌ يونـــانيون : الرجـــلُ يضارب في البورصة ، والمرأة تدخّنُ سيجارتها مـــن مبسم طويل ، كان يحلو لها أن تـــزورَ أمّـــي الريفيـــة السمينةَ وهي ترتدي روبًا منزليًا من الحريرِ الأحمر ، ينحسرُ عن ركبةٍ بيضـــاءَ كلما وضـــعتْ رِجْـــلاً علـــى رِجْل.

كان من اللازمِ دراميًا أن أحبَّ كاترينا ، بنـــت نيكـــولا مضاربِ البورصة ، التي تكبرني بســـنةٍ واحـــدة . إذ سمحَ لنا الجوارُ أن أرتادَ غرفتها من آن إلـــى آخـــر ، فأتأملها غارقةً في العزفِ علـــى البيـــانو ، أو قـــراءةِ أشعارٍ ليونانيين موتى ، فيما أتظاهرُ بملاعبةِ مارجو ،

قطتها النظيفة ، وأنا أختلسُ النظرَ إلى سوتيان تـــدلّي من دولابِ موارب .

لأسبابٍ غيرِ مفهومةٍ كنتُ أتجنَّبُ النظرَ إلـــى العـــذراء المحطوطةِ على الكومود ، غير أنني سرعان ما أدمنتُ المقارنة بين التمثالِ الغامض وبين كاترينا ، سيما حين أتتبَّعُ النمشَ الخفيفَ على عنقهـــا المتطـــاولِ ، حتـــى التقائهِ بكتفِها المنبسطة .

من اللازم دراميًا أيضًا ، أن تتلهَّى فتاةٌ كتلك بالصـــبيِّ العاشقِ في أوقات الفراغ ، أن ترى فيه أداةً مأمونـــةً لعادتها السريَّةِ ، أو غطاءًا لغيابها في المشـــاوير

الخطرة ، هذا دون أن تحطّمَ حلمه في أن يكونَ صهرًا لكفافيس ذات يوم .

تحت وطأةِ التحولات الاجتماعية غالبًا ما نُصابُ بشيءٍ من الاضطرابِ العاطفيّ ، فنصبح صورةً لبارِ الخيَّام : البار الذي استحالَ بين ليلةٍ ويوم معرضًا للأحذية ، إذ يرحلُ الناسُ إلى بلادهم تاركين لنا أوراقًا بخطّ اليـد ، أو مارجو ، أو مزقةً من فستانٍ كان قد تحوَّلَ في زمنٍ سابق إلى ممسحةٍ لحبلِ الغسيل .

الأمورُ هذه سوف تقودنا بالتأكيد إلى فتياتِ الأرصـفة ذوات السراويلِ الرطبة ، اللاتي سيتركن بالتالي بثورًا لها رؤوسٌ سوداءُ بين أفخاذنا ، تكون فيما بعدُ علامةً

لا تزولُ على لياقتنا بسوق الكلام عــن الماضـــي .. و فتنته .

حلمتُ في صباي أن أكونَ واحدًا من سكان وسط البلد ، غير أنني خفتُ من هجرانِ كاترينا ، خفتُ أن أصبح مؤتمنًا على تذكاراتها التي لا تكفُّ عن التنفسِ بصوتٍ عالٍ في زوايا الغرفة ، أو مُضطرًا – تحت الضــرورة الدرامية مرةً أخرى – إلى الاحتفاظِ بحيوانها الطيّب .. في حوض الفورمالين .

فبراير ٢٠٠٥

الأوراق

مائدة لاثنين

يمشي الرجلُ إلى حتفه إذا ما جلسَ إلى امرأةٍ تعترفُ بالحب ، لا ينفعه رفعُ كفِّه في مواجهةِ عينينِ ثابتتين ، ولا ردُّ أوراقٍ إلى صاحبتها ، سيبدو للحظةٍ كما لو كان عازمًا على التفادي من مصيرهِ ، أو على إعاقةِ الملائكةِ عن العمل .

الملائكةُ الفاهمون بحكمِ التجربةِ لن يكترثوا للمماحكة ، إذ يعرفون أنَّ براءتَهُ مسألةٌ فيها نظر ، وأن نبالتَهُ تلك لا تليقُ سوى بكارهٍ مُخْلِص ، أما جسده فكان على الدوام تلاً تتسلَّقه العاطلاتُ من المسرَّة .

سيدوِّنون تحت اسمه :

ليبقَ مشغولاً بنفسه عن نفسهِ

ليكن نسيانُهُ أدنى من قبرهِ

ليخسرْ بالسعيِ ما لا يخسِرهُ بالموت

سيدوِّنون أيضًا :

يمشي الرجلُ إلى حتفهِ كلما مشى .

يناير ٢٠٠٥

سياسة النسيان

بيت آخر للدمية

أنا وريثُ الحكاية ، العاشــقُ الــذي لــم يــذُق شــهدَ الخساراتِ بعد ، أنا المرءُ الطبيعيُّ صاحبُ التكشــيرةِ والمهابة ، صاحبُ القهقهاتِ بالقدرِ الذي يجعلُ الأعداءَ في حدودِ الطاقة ، ألتقطُ جريدتي الصــباحيةَ مبرومــةً على بلاطِ الشرفةِ ، دونَ أن تلحقني إهانة . أنا سائسُ التفاصيلِ التي تُنسى ، المرءُ الطبيعيُّ ، الذي يجدُ فــي الغبارِ الخفيفِ على شاشةِ التلفازِ وسيلةً لإخضاعِ ربَّةِ البيتِ في فراشها ، حيثُ السكوت دائمًا ... في مقابــلِ السلام .

يونيو ٢٠٠٤

سريرة لاثنين

طريق المدافن

لك أن تستدرجَ واحدةً من عشيقاتي إلـــى مخـــدعك ، وفيما أنتَ منهمكٌ في رفعها إلى الربوةِ المسمّاةِ باللذّة ، يمكنكَ مهاتفتي ، وتركُ الخطِّ مفتوحًا ريثما ينســـربُ الغنجُ إلى غرفتي الضيّقة ، فيُطيِّرُ الأوراقَ ، ويســـكبُ القهوةَ على بنطالي .

سأحزنُ ، أعدكَ سوف أحزنُ ، سوف أحـــزنُ دون أن أكرهك ، ذلك أنني فاهمٌ معنى العزلةِ المفاجئة ، وخبيرٌ بالجراثيم التي تنمو على جدارِ القلبِ لدى أمثالك مـــن المهجورين عاطفيًا ، خبيرٌ بتداعيات المسافةِ الثابتة ، التي طالما احتفظتَ بها بيننا لنبقى واحـــدين ، مجـــردَ واحدين في مدينة .

المسافةُ يا صديقي المسافة !

المسافة تلك لم تكن شرًا كلها ، فقد مكَّنتكَ من توسيع أبواب الرزقِ دون وجعٍ للدماغِ ، وبعيدًا عـن صُـحْبَةِ المقهى . والمسافةُ ألانتْ لكَ جانبَ العـربِ العاربـة ، وأكسبتكَ هيبةَ أصحابِ الدكاكين ، لكنها أيضًا ، جعلـتْ من تَواجهِنا فوق العمودِ الفقريِّ لامرأةٍ عـابرةٍ أمـرًا واردًا، ومن إدراكِنا للحياةِ سلَّمًا نرتقيه إلى الموتِ غيرَ منزعجين .

لا مجالَ للكراهيةِ بيننا إذن ، ولا مجالَ للمودةِ البريئـةِ من الالتباس ، لا مجالَ للوضوح ، نعـم .. ألـم يكـن الوضوحُ هوائيًا تمزّقتْ علي أطرافهِ طائراتُنا الملوّنةُ ، حينَ كُنَّا يتامى ، ألم نلمحْهُ صبيًا في جلبابهِ الأبيض

على بابِ مقبرةِ صديقنا الراحلْ ، ثم راغَ قبلَ أن ننفضَ أيادينا من التراب !

بالوضوحِ ذاتهِ ، أرهقنا أصدقاءنا الطيّبين الـذين مـا يزالون في ريعانهم ، زججنا بهم في أزماتنا مع العمرِ المنتصف ، حيث أمعنتُ أنا في طلَبِ الجوابِ من القرار ، ومارستَ أنتَ هوايتَكَ في لَمِّ الطوباياتِ من السكك ، بغيةَ أن تضخَّ دمًا جديدًا في جثَّـةِ الخيـال...جثتـه السليمة .

لا مجالَ للكراهيةِ بيننا ، صارت خبرتكَ بي أوسعَ ممـا يجب ، فمن غيركَ الآن يقـدرُ علـى فـضِّ اشـتباكِ المساراتِ في ذهني ، ذهني الذي أنهكتْهُ السنةُ الأخيرة

، من غيرك يمكنه إقامةُ العلاقةِ في ذاكرتي ، بين الهَوَسِ الجنسيِّ عند الإناثِ - حين يبلغن الثامنةَ و الثلاثين - وبين طرائقِ تلقينِ الرياضةِ في مدارسِ الراهبات ، بين تدني أحاسيسِ الأمومةِ وبين شوارع العباسية في الخُمْسِ الأخيرِ من القرن ، بين الذُهانِ وبين مواليدِ برجِ العذراء.

من غيركَ .. يمكنه التقاطُ السياقِ الذي يجمعُ البظراواتِ بالقصائدِ المكتوبةِ عن بغداد بعدَ انهيارِ الحزب .

اسمع كلامي !
خذ واحدةً إلى مخدعِكَ ، و كُفَّ عن معاداةِ الغموض .

يونيو ٢٠٠٣

الجنازات*

ساحل المتوسط

سوءُ الفهمِ ضدَّ سوء الفهم .

هكذا رتَّبَ بوجِذرة المشهدَ الجزائريَّ بسرعة ، ثم قـام إلى قهوته مرتاحَ الضمير ، علـى مظنـةِ أن العدالـةَ سوف تأخذُ مجراها تلقائيًا ، لكونها الأخـت الصُّـغرى لمبدأ الانتخاب الطبيعي ، أي أن البرابرةَ سيندحـرون بالوقت .

فتاةُ البحثِ الجنائيِّ فقط هي التي كان لها رأيٌ آخـر ، إذ أثبتتْ دون قصدٍ أنَّ اقتناءَ الأعضاءِ البشريةِ المُجَفَّفة جزءٌ أصيلٌ من الثقافةِ الغاليَّة ، تلك التي كانت ولاتزال تحلمُ بتخليصِ قبرِ الربِّ من أيدي الوثنيين .

يستحقُّ الرجلُ إذن براءةَ اختراعِ الحريَّةِ عن سارة هذه ، التي غافلتْهُ و أفلتتْ من النص ، حين فضَّلتْ لفظةَ

(النَيْك) بفضائها الصحراويِّ اللافحِ على نظيرتها الفرنسيةِ المعتبرةِ (فِعْلُ الحُب) .
البنتُ بفطرتها – أو ربما بخبرتها – أيقنتْ أن الكلامَ عن الحبِّ طقسٌ شماليٌّ خالص ، دائمًا ما يذكِّرها بالعاجزين عن الحب .

مارس ٢٠٠٥

إشارة

• رواية لرشيد بوجدرة تحكي عن حوادث الإرهاب بالجزائر إبان التسعينيات .

عرق البلح

فراش المترجِم

تسرَّعَ سيد عبد الخالق ، حين أفسحَ للمسوَّدةِ مكانًا على مائدةٍ تجاورُ سريرَه المزدوج ، اندلقَ الشايُ بينما كان يقلِّبُ بقامتهِ الهواءَ الراكدَ في الغرفةِ طوالَ الليل ، وصارَ النصُّ الذي أسميتُهُ (عرق البلح) متماهيًا مع قماشةِ المفرش .

من حسنِ الحظِّ أنه ما من سبيلٍ إلى استخلاصِ الكلامِ من المحلولِ السُكَّري ، هذا قد يوحي إلى مثلي بإطلاقِ شائعةٍ على المقهى في غيبةِ الشهود ، مفادُها : أن رضوان الكاشف قد استغلَّ حاجتنا إلى مصاريفِ المستشفى ، وأن التعديلاتِ التي أدخلوها فيما بعد على الإسكريبت ، تمَّتْ بمعزلٍ عني .

نسيتُ أن أخبركم : كان جسدُ سيِّدٍ مفردًا منذ نوفمبر .

يونيو ٢٠٠٤

على سفحِ مشمس

أجل .. سفح و مشمس

" ليكن مجدك خلف هذا الماء "

أربع عشرة مرة تتكرّرُ هذه العبارةُ في أوراقِ شـــاعرِ الحملة ، الذي سأسميه فرناندو ، أربع عشـــرة مـــرة رغم خدمتهِ العسكريةِ القصيرة .

كراهيته لقائده ليست الآن محلَّ شك ، إذ أمكننا – بعد فوات الأوان – قراءةُ الأحداثِ على ضوء الأحـــداث ، ورأينا كيف ساعد الشعراءُ الربَّ في أوقاتٍ كثيرة على التخلُّصِ من منافسيه .

جوزفين نفسُها لم تكن سوى شذرةٍ من خيالِ فرنانـــدو هذا ، اصطنعها كي يتستَّرَ على خيبةِ سيِّده : مدَّ لهـــا فراشًا واسعًا يشبهُ ميـــدانَ حـــرب ، مفروشًـــا بعلـــمِ

الجمهورية . دبَّرَ لها غنجًا لم تعرفه شراميطُ الأزبكية ، حين كُنَّ يتسللن إلى مسكنهِ لقاءَ قالبٍ من الجبن . ثم في النهايةِ دوَّنَ بالنيابة عنها مذكراتٍ غراميةً من لحمٍ ودم ، كادت أن تنطلي على الكسالى .

كالعادةِ – وفي الوقتِ المناسب – يتخلى فرناندو عن مشروعهِ : سيتركُ قائده وسطَ الغبارِ والذباب مستغرقًا في نوبةِ الصرَع .

ربما يكون قد فرَّ مع المماليكِ إلى الشام بعد أن رتَّبَ الأمور . ربما عادَ إلى مارسيليا على ظهرِ مركبٍ تحملُ جزءًا من المسلَّة .

رجلٌ على هذه الشاكلة ، لن ينسى أن يستغلَّ وضعيته

النادرة ، التي أتاحت له التلصُّصَ على خلوةِ الســاري عسكر ، ذي العضوِ الضامر ، حيث ســيودعُ ســمعته أمانةً في أعناقِ الحرافيش ، أصحابِ الألسنةِ الطويلة . ياللجنرال المسكين ، حين يقفُ على السفحِ المشــمسِ تالفَ الأعصاب ، كلما تحسَّسَ بنطاله من قُبُل ، رفعَ ذراعه في الهواءِ كي يحذفوا جانبًا من وجهِ الفرعون ، الوجهِ الذي بقى تحتَ الدويِّ يحملُ ابتسامةً باهتة .. لا تبعثُ على الراحة .

مارس ٢٠٠٥

الشاعر في سطور

* عاطف عبد العزيز.
* من مواليد القاهرة .
* تخرج فى كلية الفنون الجميلة ويعمل مهندسًا معماريًا .
* له:-

ذاكرة الظل	مجموعة شعرية منشورة	١٩٩٣
حيطان بيضاء	مجموعة شعرية منشورة	١٩٩٦
كائنات تتهيأ للنوم	مجموعة شعرية منشورة	٢٠٠١
تحديقة في الفراغ	مجموعة شعرية	تحت الطبع
الثريات والظلال	ترجمة	تحت الطبع

* يعد واحد من أهم الأصوات المؤسِّسة لتيار قصيدة النثر المصرية فى حقبة التسعينات .
* تميزت نصوصه بالحس البصري الفريد والقدرة على كشف الشعرية الكامنة خلف العادي والبدهى من خلال لغة مبهرة تحتفظ بتجريبيتها وأناقتها في آن واحد .
* حصل ديواناه " حيطان بيضاء " و " كائنات تتهيأ للنوم " على عدة جوائز محلية .
* نشرت قصائده في كافة الدوريات المصرية والعربية .
* تجرى ترجمة بعض من أعماله إلى الفرنسية والإنجليزية .
* تناولت أعماله دراسات نقدية وأكاديمية .

E-mail / atef1956@hotmail.com

عاطف

فهرس

التغريبة	٧
الكيت كات	١٣
سلمى	١٧
الرماديون	٢١
مصحة الضمائر	٢٧
المقهى	٣١
المدينة دون ملك	٣٣
حراسة الخراب	٣٧
كائنات الغرفة	٤١
الأوراق	٤٧
سياسة النسيان	٥١
سريرة لاثنين	٥٣
الجنازات	٥٩
عرق البلح	٦٣
على سطح مشمس	٦٥
الشاعر فى سطور	٧٠

ATEF ABDEL-AZIZ

L'IMAGINAIRE DES LIEUX

POESIE

هامش
HAMECH